المحاضرة الثانية : التعليميات :المفهوم

تعرّف التعليميات على أنها تخصص معرفي مستقل يدرس العملية التعليمية وكل مكوناتها، من متعلمين ومعلمين، ومناهج تعليمية دراسة علمية تراعي خصوصية كل مادة دراسية. ولتحديد مفهومها الدقيق ورسم حدودها الابستيمولوجية سنحاول تحديد مفاهيم المصطلحات التي كثيرا ما تداخلت معها، وشكّلت مراحل نشأتها وتطورها؛ فبالعودة إلى تاريخ العلوم نجد أن مجال التعليم قد عُبِّر عن المعرفة التي تختص بدراسته بثلاثة مصطلحات، نشأت في حقب زمنية مختلفة هي الميتودولوجيا والبيداغوجيا والتعليميات.

ولأن هذه العلوم قد تداخلت مفاهيمها وجب تحديدها فيما يلي:

1-مفهوم الميتودولوجيا (Méthodologie):

لم يركّز التعليم التقليدي على طبيعة المادة الدراسية إلى درجة أن التمييز بين تعليم العلوم أو اللغات أو المهارات الأخرى لم يكن انشغالا جوهريا، ومن الأدلة على ذلك استعمال مصطلح ميتودولوجيا للتعبير عن تعليم أي مادة بما فيها اللّغة، ومن خلال تصفّح بعض المعاجم والمراجع التي عرّفت هذا المصطلح يمكن تسجيل ثلاثة مفاهيم مختلفة عُبر عنها بالمصطلح نفسه؛ إذ إن الميتودولوجيا تعني:

1-1-مناهج التحليل: ونمثّل لهذا المفهوم بالتعريف الآتي: «تختلف النظرية التي تدرس الخصائص العامة للغات الطبيعية، وتحدد القواعد النحوية المناسبة لتلك الخصائص عن الميتودولوجيا التي تقدّم إجراءات الكشف التي يمكن أن تساعد اللساني على تحديد قواعد لغة معينة».

حاول هذا التعريف أن يميّز بين النظرية اللسانية والميتودولوجيا، فخصّ الأوّل بمادة الدراسة وهي الخصائص العامة المشتركة بين جميع اللّغات؛ بحيث تهدف إلى تقديم قواعد عامة تحكم تلك اللّغات، في حين جعل الثانية مجالا تطبيقيا ومنهجيا يهدف إلى مساعدة اللساني على تحليل لسان معين، وكشف

خصائصه بتزويده بإجراءات الكشف. وبهذا التمييز فصل هذا التعريف بين ما يسمى النظرية اللسانية والمنهج اللساني.

1-2- مذاهب وطرائق التعليم: يعتبر هذا المفهوم الأكثر ارتباطا بمصطلح الميتودولوجيا؛ إذ كثيرا ما نجده يستعمل إما بالإفراد (Methodologie) أو بالجمع (Methodologies) تعبيرا عن مختلف المذاهب والتوجهات التعليمية والتربوية، التي بدورها تفرز طرائق وإجراءات مثل الميتودولوجيا التقليدية، والميتودولوجيا المباشرة، والميتودولوجيا السمعية الشفوية. وفي هذا الاتجاه سار "بيران Puren" عند اختياره لمصطلح الميتودولوجيا في كتابه(تاريخ ميتودولوجيا تعليم اللّغات) ليعني به " مجموع الإجراءات والتقنيات والطرائق التي استطاعت عبر فترات تاريخية أن توجّه دروس تعليم اللّغات" .

1-3- علم طرائق التعليم: يرتقي مفهوم الميتودولوجيا من مجرّد مذهب أو توجّه للتعليم إلى تخصّص يقدّم طرائق وإجراءات ومبادئ تعليمية « فهي تحليل للطرائق التعليمية من حيث غاياتها ومبادئها، وإجراءاتها وتقنياتها... وهي مجموع المبادئ والفرضيات التي كانت وراء تطوير طريقة معينة ... وميتودولوجيا تعليم اللّغات تخصص يعتمد على اللّسانيات فيما يتعلق بالمادة المدرسة، وعلى علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع فيما يخص تحصيل المتعلّمين للمادة التعليمية، والتكنولوجيا فيما يخص الوسائل التي تيسر عمل المعلم والمتعلّم».

2-بين البيداغوجيا والتعليميات:

تعتبر البيداغوجيا أقدم علم إنشغل بمسألتي التربية والتعليم قبل نشأة التعليميات، وعلى الرغم من قِدَم هذا المصطلح، وابتعاد الباحثين عن استخدامه للتعبير عن مفهوم العلم الذي يدرس العملية التعليمية، فإنه أصبح اليوم يطلق في أغلب الحالات على كل الممارسات والتفاعلات والأنشطة التي تتم داخل الفصول والمؤسسات التربوية، فيقال بيداغوجيا المشروع وبيداغوجيا حل المشكلات ...

من المهم التصريح في بداية الأمر بأن مصطلحي التعليميات والبيداغوجيا من الصعب وضع تعريف دقيق وجامع لهما، ومميز لكل منهما عن الآخر، وذلك يعود إلى سببين رئيسين هما: عدم وضوح

الحدود التي تفصل بينهما، وأيضا التطورات المفهومية التي كانت تنتج لنا تعريفا في غالب الأحيان هو أقرب إلى وجهة النظر والاجتهاد منه إلى التعريف العلمي، وهذا ما أفرز عدة تعريفات حاولت في كل مرة أن تميز بين العلمين من زاوية محدّدة. ومثال تلك الاجتهادات ما يجمعه هذا الجدول من محاولات تمييزية مرتبة ترتيبا زمنيا حتى نلاحظ تطورها التاريخي والمفهومي أيضا.

الرقم	مصدر التعريف	التعليميــة	البيداغوجيا
1	آيبلي H.Aebli 1951.	علم مساعد للبيداغوجيا، يحاول الإجابة عن الإشكاليات التالية: كيف نجعل المتعلّم قادرا على تحصيل مفهوم أو عملية أو تقنية ما؟	هي العلم العام والأشمل
2	لاربيLerbet (1984)	تهتم بتسيير المعلومات.	تهتم باقتصاد الإعلام والتواصل
3	دابان Dabene 1989)	تتحدد بالتفاعل المستمر بين ميدان التعليم (الفصل الدراسي) ونتائج التفكير النظري حتى المجالات العلمية المعنية بالتدريس.	تمثل المكون التطبيقي للتعليميات الذي يدرس ميدان التعليم (وبذلك فهي فرع منها).
4	ديميزيار وديبويسو Demaizie re	وضع الإجراءات والأدوات البيداغوجية هو عمل تعليماتي وكذلك بعض أشكال التطبيق والممارسة .	تتضمن البعض الآخر من أشكال التطبيق والممارسة

	Dubuisso (1992)n		
5	ديوزايد Diuezaid 1994	تسعى إلى ضمان الانتقال الأمثل للمعارف المحددة بأهداف ومحتويات خاصة بكل مادة.	تسعى إلى ترشيد وتحسين التعلّم
6	لابال Labelle (1996)	تهتم التعليمية بالعلاقة بين المتعلّم والمعرفة والعلاقة بين المعلم والمعرفة.	تهتم بالعلاقة بين المعلم والمتعلّم
7	معجم البيداغوجيا والتربية 2007	– تنتمي التعليميات إلى علوم التربية في شقها التقني. – التعليميات أكثر دقة لأنها علم محدد ومضبوط، ويتعلق بتعلّم خاص به.	– هي الفرع الأقدّم من علوم التربية، ولكنها لم تعلن هدفا علميا مثل التعليميات. – عامة وشاملة، لأنها تتعلق بجميع العلاقات الموجودة في العملية التعليمية.

يتضمن هذا الجدول عددا من المحاولات التمييزية بين التعليميات والبيداغوجيا التي وإن اختلفت في التصورات التي نبعت منها فإنها تدلّ وتؤكّد على تلك الصعوبة التي تواجه التمييز بين العلمين، وضبط حدودهما. هذا التعقيد من شأنه أن يعيق أي محاولة لإحلال الواحد مكان الآخر أو اختزال أحدهما في الآخر.

إن قراءة واعية لهذا الجدول من شأنها أن تضعنا في جدول تصنيفي آخر لجميع تلك التعريفات التمييزية، بحيث يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع من العلاقات الرابطة بين التعليميات والبيداغوجيا هي: احتواء وتكامل وتعويض.

*** علاقة الاحتواء المتبادل:**

وتعني أن أحد الطرفين فرع من الآخر، وهي تعدّ من أكثر العلاقات مناقشة في الكثير من التعريفات، بل إنها كانت وجهة وهدفا مقصودا بحث عنه المتخصّصون حين وضعوا تصنيفاتهم للعلوم التربوية.

إن علاقة الاحتواء هذه تتفرع بدورها إلى نمطين: نمط تتضمن فيه البيداغوجيا التعليميات، ونمط ثاني تتضمن فيه التعليميات البيداغوجيا.

فأما الأوّل فقد ظهر بوضوح في التعريفين رقم (1) ، إذ يجعل "آيبلي" التعليميات علما مساعدا للبيداغوجيا، يهتم بالإجابة عن جزء من الإشكاليات العامة التي تعالجها وهي إشكاليات كيفية التحصيل.

وأما النمط الثاني من هذه العلاقة فتجلى في التعريف رقم(3) ، إذ يركّز "دابان"على الوضعية المتميزة للتعليميات، على أنها تخصص يسعى إلى تحقيق التفاعل والتعاون بين المعارف النظرية حول التعلّم والتعليم وميدان ممارستهما، ولذلك فهي تتضمن البيداغوجيا التي تهتم بالجوانب التطبيقية فقط .

ولئن كان من اللازم الجنوح إلى أحد الطرفين فإن النمط الثاني الذي يجعل التعليميات العلم الأشمل هو الأكثر إقناعا ومقبولية –حسب رأيي– وذلك لأنها فعلا قد أضافت إلى المسائل التي كانت تعالجها البيداغوجيا مسائل أكثر أهمية كالتجريب، ومراعاة خصوصية المادة والإهتمام أكثر بالجوانب النفسية والاجتماعية للمتعلّم والمتعلّم، إضافة إلى نظرتها العلمية الصارمة إلى كل جوانب العملية التعليمية.

*** علاقة التكامل:**

وتعكسها التعريفات التي تؤكّد على اقتسام كل من التعليميات والبيداغوجيا المواضيع والإشكاليات الخاصة بأقطاب المثلث التعليمياتي (المعلم والمتعلّم والمعرفة)؛ إذ إن العلاقة بين التعليميات والبيداغوجيا حسب التعريفين (4و5) لا يمكن أن تناقش على مستوى حدود كل منهما مثلما هو الأمر في علاقة الاحتواء، بل على مستوى وضعيتهما العلمية ضمن شبكة العلوم التي تهتم بالتعلّم والتعليم عامة.

* **علاقة التعويض**: وتعني إحلال التعليميات مكان البيداغوجيا، وبالتالي الانتقال من البيداغوجيا إلى التعليميات بعد أن مرّت العلاقة بينهما بتطورات عدة. ويمثل هذه العلاقة التعريف رقم (7) الذي يُرجح الكفّة للتعليميات، بل ويصرّح بزوال البيداغوجيا فيقول: « إن البيداغوجيا العامة مثل البيداغوجيا الخاصة قد زالت في يومنا هذا»، ومسوّغه في ذلك أن البيداغوجيا رغم أقدّميتها من الناحية التاريخية إلا أنها لم تعلن لنفسها هدفا وموضوعا علميا محددا، بل كانت عامة وشاملة في حين التعليميات تميزت عنها **بالدقة والضّبط المنهجي والموضوعي**.

لقد أتبع "بيران "(Puren) المذهب نفسه، ولكنه قدّم تبريرا مغايرا حين استحسن استعمال مصطلح تعليميات بدلا عن البيداغوجيا، لأن الأوّل هو الأكثر استعمالا حاليا من طرف المتخصصين، ولأن الثاني يحيل على تعليم الأطفال والمراهقين، أي على التعليم المدرسي، في حين نجد أن التعليم غير المدرسي يلعب دورا مهما .

إن الملاحظات والتعليقات السّابقة على جميع تلك التعريفات والآراء لم تقدّم لنا تعريفا فاصلا بين البيداغوجيا والتعليميات، ولكنها دفعتنا إلى تبني نمط معين من العلاقة الرابطة بينهما، وهي علاقة التعويض التي تعد الأكثر حداثة بعد أن فرضت التعليميات نفسها فكرا نظريا وتطبيقي.